

أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم في إصلاح ذات البين

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وآله وصحبه ومن والاه، أما بعد،، فإن الخلاف بين الناس أمر طبيعي لا يسلم منه أحد من البشر، وقد وقع الخلاف بين خيار الناس، فكيف بغيرهم؟ وغالباً ما يكون الخلاف في بدايته اختلاف بسيط يمكن تلافيه لو أحسن الناس التصرف، ولكن الشيطان الذي (أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم) هذا الشيطان لن يدع فرصة تفوته، ولن يتوانى هو وأعدائه - النفس الأمارة بالسوء، والهوى، وأهل الإفساد - في التحريش بينهم، وإذكاء نار العداوة والبغضاء؛ حتى تتحول هذه الشرارة إلى فتنة عظيمة، فيساء الظن، ويقع الإثم، وتحل القطيعة، ويفرق الشمل، وتهتك الأعراض، وتسفك الدماء، وتنتهك الحرمات.

ولهذا كان الإصلاح من صميم رسالة الإسلام؛ لما له من أثر بالغ في إحلال الأمان والسلم المجتمعي، والوقوف سداً منيعاً أمام حبائل شياطين الإنس والجن، حيث جاء التأكيد على أجر المصلحين، قال تعالى:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، وقال سبحانه: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ

أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٤]،

وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

وكان من هدي النبي ﷺ السعي في الإصلاح بين الناس، وكان يعرض الصلح على المتخاصمين، وقد باشر الصلح بنفسه حين تنازع أهل قباء فندب أصحابه، وقال: (أذهبوا بنا نصلح بينهم). رواه البخاري وكان ﷺ يعظم عمل الإصلاح، فقد روى البخاري أن النبي ﷺ كادت أن تفوته صلاة الجماعة بسبب الإصلاح، وذلك عندما ذهب إلى أناس من بني عمرو بن عوف كان بينهم شرٌ ليصلح بينهم، فحانت الصلاة وتقدم أبو بكر ليؤم الناس، ثم جاء النبي ﷺ وحل مكانه.

وكان يرخص بالكذب على شناعته إذا كان لأجل الإصلاح، فيقول: (لا أعده كاذباً الرجل يصلح بين الناس، يقول القول ولا يريد به إلا الإصلاح). رواه أبو داود وغيره

وكان ﷺ يرغب في الإصلاح، فيقول: (كل سُلَامَى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الناس صدقة) رواه البخاري، وفي الصحيح: (ألا أنبئكم بدرجة أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، وفساد ذات البين هي الحالقة)، قال الترمذي: يقول إنها تحلق الدين.

أيها الأحباب: لنمضي على خطى نبينا ﷺ في الإصلاح، ولنصلح ما بيننا وبين الله، يصلح الله ما بيننا وبين الناس، قال تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].